

الهجرة.. منهج لبناء الأمة



رسالة من محمد مهدي عاكف - المرشد العام للإخوان المسلمين

بسم الله، والصلوة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد..

ونحن نستقبل عاماً هجرياً جديداً والميشرات تحوطنا.. ما أحوجنا إلى أن نعزز جاهدين على استرداد الأمجاد بهمة وتصميم!! وما أحوجنا اليوم - وقد أصبحت الأمة مطمعاً لأعدائها - إلى أن نبدأ بخطوات بنائها من جديد!! فقد جاءت الهجرة بمشاهدتها وموافقتها منهجاً يستلهم منه المخلصون أسس البناء؛ فالهجرة كانت انتقالاً من مرحلة الصبر على الأذى في مكة إلى مرحلة الصبر على الدعوة والانطلاق برسالة الإسلام، ومن مرحلة الإيمان والتهذيب الفردي إلى مرحلة بناء المجتمع وصياغة الأمة بالتشريع الإلهي.

تلك الصياغة التي جعل الله بدايتها الإيمان الصادق والعمل المتواصل **«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ»** (البقرة: 218)، فلم تكن فراراً أو هروباً من المواجهة، وإنما كانت حداً فاصلاً بين الحق والباطل عن طريق الاجتهاد والبذل وتقديم التضحيات، استعداداً لمواجهات أخرى؛ ولذلك قرنه الله - تعالى - بالجهاد في سبيله.

ولن تكمل هذه الخطوات بالنجاح إلا إذا سارت على نهج الهجرة في الشعور بمعية الله، والثقة الكاملة في نصر الله القادر: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: من الآية 40).

ونصر الله يتوقف على ما يقدمه أبناء الأمة من تضحية بما يملكون، رغم المكر بهم والتأمر عليهم؛ وذلك حينما يتحلّون بارادة قوية وهمة عالية؛ فالله غالب على أمره.. ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرُجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال: 30).

أما آن لنا من هجرة حقيقة؟!

هجرة من الضعف إلى الاحتساب في سبيل الله، هجرة من التهاون إلى التضحية على المضي في طريق الإيمان، هجرة من التكاسل إلى مواجهة التحديات في كل شؤون الحياة، هجرة من التخلف المهيمن إلى التقدم والازدهار؛ حيث نحقق منهج الهجرة في تربية النشء على الجرأة في موقف على رضي الله عنهـ والشباب على الشجاعة في موقف عبد الله بن أبي بكر، والرجال على التضحية في موقف صهيب، والمرأة على المشاركة في موقف ذات النطاقين، والأسرة على الطاعة في موقف عائلة أبي سلمة، والجماعة على التخطيط والإعداد وتعبيئة الناس على الإقدام والبذل والعمل.

هناك يزغ نور الأمة، وتحقق هجرتها الصادقة، من الظلم إلى العدل، ومن الجور إلى المساواة، ومن القهر إلى الحريات، ومن الهوان إلى الإباء، ومن المذلة إلى العزة، فإذا بها تخرج من التبعية للمشروع الأمريكي الصهيوني الوهبيـ الذي أثقلنا بالديونـ إلى تكامل إسلامي وتعاون اقتصاديـ كما فعل النبيـ صلى الله عليه وسلمـ ببناء السوق الإسلامية بعد الهجرة، فتواجده البطالة، ونقيمه المشروعات الاقتصادية المشتركة؛ حيث لا فقر ولا عوز ولا حاجة ولا هجرة للشباب فراراً من الفقر إلى الموت!!.

وترتفع من الاستضعف والسلط السياسي إلى إرادة قوية في بناء حضاري متكامل، تربط الإنسانية برب السماء، فتختفي بشاعة الحروب والصراعات، وجرائم الاقتتال والعنف، وفظاظة النهب والبلطجة.

وتعلو من التشرذم والتفرق إلى الأمة الواحدة، والتي بدأت من أول وهلة من الهجرة في صحيفة المدينة التي كتبها النبيـ صلى الله عليه وسلمـ وقد جاء فيها: "هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين وال المسلمين من قريش ويشرب، ومن تعهم فلحق بهم وجاهم معهم.. أنهم أمة واحدة من دون الناس".

لننطلق؛ فليس الأمر بالعسير

ما أحوجنا أن ننطلق اليوم كما انطلقت الأمة بالأمس، حاملةً التوحيد الخالص، ومتسلحةً بالعلم الرacy، ومنطلقةً بميراث النبوات، وداعيةً بالحوار والحسنى!!

نقدم الإسلام نظاماً للحياة؛ اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وعسكرياً، وليس الأمر بالعسير على أمة هذه صفاتها؛ فالله يقول: **﴿كُنْتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾** (آل عمران: من الآية 110)، خاصةً أنّ أمتنا هي من جعلها الله الأمّة الوسطى **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾** (البقرة: من الآية 143)، وإنّي لأعجب من أمّة هذا حالها.. تصاب بهجرة عقول أبنائها لنفع غيرها، وتحرم الأوطان من علمهم!!!.

هي إذن دعوة لبناء الأمة، والبدء في إلاء شأنها، رغم الواقع المريض، من الانهيار والتصدع، والتفكك والانحلال؛ ولذا تحتاج مثناة إلى جهود مضنية حتى يأتي نصر الله القريب **﴿إِنَّا لَنَصْرٌ رُسُلُنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُولُمُ الْأَشْهَادُ﴾** (غافر: 51)، وصدق النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يبشرنا بهذه الحقيقة: **“إِنَّ اللَّهَ زُوِّي لِي الْأَرْضَ مُشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أَمْتِي سَيَلِّغُ مَلَكُهَا مَا زُوِّي لِي مِنْهَا”**.

وهذا الأمل المحقق يتطلّب منا - كأفراد ومجتمعات وحكومات -

أولاً: أن نشق في هذه الحقيقة مهما اشتَدَّ الأزمات، وأن يغمرنا اليقين بأن نصر الله للأمة آت لا محالة.

ثانياً: أن يسأل كلّ مثناة نفسه: ما دوره في بناء الأمة بعدما فشلت كلّ المناهج الأرضية؟ خاصةً في دول صانعيها قبل غيرهم؛ من اشتراكية وقومية ورأسمالية، فلم يبق لنا إلا منهج الإسلام ومشروعه الأوحد في صناعة الأمة.

كيف نحقق منهج الإسلام؟

فإن أردنا تحقيق منهج الإسلام فلنبدأ من الهجرة؛ اقتداءً بالرسول؛ فهو قدّوتنا؛ وذلك ابتداءً بالهاجر المطارد - صلى الله عليه وسلم - الذي يقدم التضحيات، وانتهاءً بالتمكين لرسالة الله في إرساله صلى الله عليه وسلم رسائل الإصلاح لملوك العالم وحكّام الأرض.

وإن أردنا بناء الأمة على منهج الإسلام فلنبدأ من الهجرة؛ بصناعة جيل كالأوائل، على فهمٍ ووعيٍ وإدراكٍ، من رجال ونساء.. **﴿مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾** (الفتح: من الآية 29).. جيلٌ متماستك بالحب، قويٌّ بالمؤاخاة **﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَاصَّةً﴾** (الحشر: من الآية 9).. جيلٌ وفي لدعنته، محبٌّ لوطنه، يردد مع النبي - صلى الله عليه وسلم -: **“وَاللَّهِ إِنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضَ اللَّهِ إِلَيَّ اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ”**.

أصارحكم القول

وأصارحكم القول.. إن بناء الأمة يبدأ:

أولاً: بهجرة الأفراد.. فالهاجر من هجر ما نهى الله عنه، ومن هنا نبدأ التغيير؛ بالتوبة وهجر المعصية والذنب: **“لَا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها”**.

وثانياً: بهجرة الجماعات والدول.. في أن تهجر التنابذ والتقاعس، والاستبداد والظلم والباطل، وكل ما يكرهه الله؛ سئل النبي ﷺ: أي الهجرة أفضل يا رسول الله؟، قال: "أن تهجر ما كره ربك".

فإذا كان الكون كله مهاجراً إلى الله، والأنبياء جميعاً هاجروا إلى الله، والصهاينةاليوم يغتصبون أرضنا، مضحّين بأموالهم ومكانتهم؛ بحجّة "الهجرة" ولكن من أجل الإفساد والاحتلال واللصوصية، والأمريكان يحتلون بلداننا من أجل نهب ثرواتنا واحتلال مقدراتنا.. فهل آن لنا من هجرةٍ حقيقةٍ إلى الله، نعلّنها في قوّة: هجرة إلى الله لتحرير الأرض ومواجهة الظلم والفساد والاستبداد؟!

"فمن كانت هجرته إلى الله فهجرته إلى الله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكسحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" ..

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسلیماً كثيراً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.